# الباب الثاني
# التربية والفلسفة

- مقدمة.
- الفلسفة المثالية.
- الفلسفة الواقعية.
- الفلسفة البراجماتية.

# التربية والفلسفة

**مقدمة:**

الفلسفة هي النظرة الاساسية للكون والانسان والحياة، وهي بحث في علاقة الانسان بما قبل الحياة وما بعدها من خلال وجوده فيها. وهي عمل فكري دؤوب للوصول الى الحقيقة.

ولما كانت التربية ميداناً من ميادين المعرفة المتعلقة بالإنسان الحي، كان لا بد أن تغدو حقلاً واسعاً لبحث الفيلسوف. فالأسئلة الرئيسية الثلاثة، من أنا؟ وكيف أسير؟، وإلى أين المصير؟، اقتضت أن تبرز أسئلة متتالية، عما يجب أن أعلم وكيف أعلم، وتتكاثر الاجابات وتتعدد الآراء، ولكن الذي يهمنا في مجال التربية، هو الاجابة الشاملة التي تستقصي النظرة الاجتماعية في حق الانسان في حياة سليمة، والنظرة الاقتصادية في حقه بعمل لائق يناسب قدراته، والنظرة السياسية في كونه راعياً متصرفاً بمن هو تحت سلطته، هذه النظرات تقتضي قيام فلسفة تربوية محددة الاتجاه واضحة المعالم تضع خطة شاملة تبين علاقات التربية بسائر الأنشطة الانسانية الأخرى[1].

هذه الفلسفة التربوية هي التي توضح المفاهيم والفروض والنظريات التي تستند اليها عملية التربية، وتقود الافراد وسط الاتجاهات والقيم المختلفة.

إنه بدراسة الواقع والاستفادة من معطياته، العلمية، والاجتماعية يمكننا أن تضع تفسيراً شاملاً للعملية التربوية من حيث مبادئها وأسسها وأهدافها وبرامجها.

---

(١) محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، القاهرة، مكتبة الانجلو – مصرية، ١٩٦٣، ص٣.

غير أن معطيات الواقع متنوعة، وأفهام البشر متباينة، والظروف الموضوعية متغيرة، ولكن طموح الانسان الفكري وهمّه الحياتي غير محصور بزاوية فمن الطبيعي أن نجد عدة فلسفات للتربية، وليست فلسفة واحدة.

ومن خلال هذا المفهوم فإننا نستعرض تصورات الانسان للفلسفات التربوية المختلفة.

**أ- الفلسفة المثالية للتربية:**

المثالية مذهب فلسفي يرجع الى أفلاطون والذي يعتبر الأولوية في الوجود للوعي أو الفكرة وأن المادة أو الطبيعة نتاج لها.

فهناك عالم حقيقي وراء هذا العالم المحسوس، ومن دعاة هذه الفلسفة (كانت) و(هيجل). فالحقائق بزعمهم ليست موجودة في هذا العالم المادي ولا يمكن إدراكها بالحواس. ذلك لأنها روحية المنشأ، لا يصل اليها إلاّ من سَمُوا بأرواحهم كالفلاسفة والمفكرين.

وتتضح لدينا التربية المثالية من خلال التعريج على بعض مواقفها من عناصر التربية وقضاياها العامة.

**١- المعلم:**

تركز المثالية على دور المعلم في التربية فهو الذي يهيء البيئة المناسبة لنمو الطفل، ويقدم له المعلومات من أجل مساعدته للوصول الى الكمال. وكثيراً ما يشبّه المثاليون معلمهم بأنه بستاني ناجح، يبذل كل جهده لتنمية أزهاره وتفتحها وصولاً بها إلى الكمال.

أما السلطة فهي بيد المعلم، وهو المسيطر الوحيد في غرفة الصف، ويحق له استخدام القسوة لتدريب ملكاتهم في الصبر والتحمل والإرادة[1].

---

(١) هاني عبدالرحمن، فلسفة التربية، عمان: ١٩٦٧، ص ٣٥ - ٣٩.

والمعلم المثالي يتقن المواد الدراسية، ويختار أفضلها، ويقدمه للتلاميذ مستخدماً خطوات محددة تساعده في تلقين التلاميذ، وحشو أذهانهم بالمعلومات.

**٢- الطفل:**

ينظر الى الأطفال على أنه روح وجسم، ولما كان كل شيء روحي أسمى من الأشياء المادية، فإن التربية المثالية، تركز على العناية بالروح والاهتمام بالقيم الروحية، أما الجسم فهو عندها وسيلة لحفظ الروح ينبغي الاعتناء به ليكون قادراً على حفظ الروح، فلولا الجسم لتعطلت القيم الروحية[١]. ويطلب من الطفل أن يبذل جهداً مستمراً في الدراسة، وأن يكون مثابراً ودقيقاً على حفظ المعلومات حتى يصبح عقله مكتبة يستخدمها الطفل في المستقبل.

**٣- المنهج الدراسي:**

يتكون المنهج الدراسي المثالي من مجموعة الحقائق التي يكتشفها المفكرون والفلاسفة. ولذلك فإن المنهج الدراسي يحتوي عادة على الفنون والآداب والأديان وهي المسماة بالعلوم الانسانية، لأنها تساعد على تنمية روحه وصقل قيمه وتهذيب سجاياه. بينما تحظى العلوم الطبيعية بدرجة أقل أهمية لأنها تختص بالأشياء المادية المحضة إذ لا صلة مباشرة لها مع الانسان وروحيته.

ولما كانت الحقائق المكتشفة ينقلها المنهج المدرسي جيلاً بعد جيل، فإن هذا المنهج يغلب عليه الثبات وعدم التطوير.

**٤- أهداف التربية:**

تهدف التربية المثالية إلى مساعدة كل فرد من أجل تنمية قدراته الى أقصى حد وتحقيق ذاتية، ووصوله الى الكمال[٢]. وهذا لا يتحقق إلاّ بتنمية الجوانب الروحية

---

(١) صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، جـ٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥، ص١٠٨.

(٢) انظر في:

- جيمس س.روس. الأسس العامة لنظريات التربية، ترجمة صالح عبدالعزيز، ومحمد غلاب. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩١٩.
- صالح هندي وزملاؤه، أسس التربية، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٤٠.

للانسان وتأكيد قيمته الانسانية، فالإنسان لكونه أفضل مخلوقات الله، لذلك يعتبر احترام حقوقه الانسانية واجب، لا بل عبادة.

والقيم الروحية عند المثاليين كالخير والشر والجمال أو النشاط العقلي والأخلاقي، والفني، أهداف بحد ذاتها يسعى الانسان لتحقيقها[1]، كما أن الدين على سلّم القيم التي تكمل الغاية من الحياة، ذلك لأنها تسمو بالإنسان نحو الكمال، من كون الدين صلة بين الله والانسان.

**٥- الامتحانات المدرسية:**

المعلم المثالي يسعى الى تعزيز عقل تلاميذه في جوانب روحية، فيختار الأسئلة الطويلة المعقدة كتلك التي تبدأ (بإشرح، ناقش، انقد...) وبالتالي يبدأ الطالب بالإنشاء، فتبرز ذاتيته، وتتميز شخصيته، فيقوم المصحّح بالبحث عن الصفات العقلية لهم مثل، البيان، العمق، الربط والتسلسل بين الأفكار...[2].

- والامتحان المثالي جزء من عملية التعلم، فالطالب يتعلم كيف يناقش الموضوعات ويجابه المشكلات وبالتالي يصبح أكثر قدرة ودربة للتعبير عن نفسه.

- غير أن النقد الموجه للامتحان المثالي هو تدخل ذاتية المصحح في تقدير علامة الطالب، واختلاف التقدير من مصحح لآخر.

## نقد التربية المثالية

رغم تركيز التربية المثالية على تجسيم الشخصية الانسانية، وإبراز ذاتية الانسان والوصول الى الكمال غير أنها تهتم بالمبالغة في التركيز على الذات الاجتماعي والثقافي، والمعارف الانسانية القديمة، مما يجعل مهمة التربية مقتصرة على نقل التراث عبر الأجيال. مهملة بحاجات المتعلمين ومشكلاتهم الراهنة.

وبالتالي فإنها تبقى رهينة الماضي، وحقائقه الجامدة. فهي تقاوم التطوير والتغيير،

(١) صالح عبدالعزيز، التربية وطرق التدريس، ج٣، القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٥، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) صالح عبدالعزيز، المرجع السابق، ج٣، ص ٤٣٦، ص٤٣٩.

مما يجعلها في الحاضر متخلفة عنه لحظته المتجددة باستمرار.

**ب- الفلسفة الواقعية للتربية:**

أصل هذه الفلسفة راجع الى ارسطو ويسيرُ جون لوك على منواله. وترتكز هذه الفلسفة على الوجود المادي المحسوس، وتنكر ما سواه. أو لا حاجة للانسان سواه، لأن العالم المادي يحوي كل الحقائق، واكتشافها لا يحتاج إلاّ إلى التجربة العلمية بالاعتماد على عقل الانسان وحواسه، لا على الحدس والالهام.

ومن أهم نظرات الواقعيين الى عناصر التربية الواقعية نتبين ما يلي:-

**١- المعلم:**

يهدف المعلم الواقعي الى مساعدة التلاميذ للحصول على المعلومات والحقائق بطريقة منظمة ومحددة وذلك بتقسيم عناصر الدرس الى مجموعة من الأسئلة والمواقف التي يسميها المعلم (مثيرات) ومجموعة من الاجابات والمسماة (استجابات) ومن ثم وبمساعدة التلميذ تكتشف العلاقة بين كل (مثير) والاستجابة المناسبة له. ويعتمد أسلوب المكافأة ليرسخ هذه العلاقة في الأذهان، وتستخدم اسلوب التكرار لأجل التثبيت لهذه الفكرة، فلا بأس عنده لفظ الدرس مراراً أو استنساخه لأكثر من مرة.

وهو يحاول اشاعة الطمأنينة والهدوء والنظام لتركيز الأفكار في النفوس وجعلها مركز التنبه لدى الطلاب.

**٢- الطفل:**

الطفل في نظر التربية الواقعية سلبي الموقف، فهو يجلس بهدوء ويبتعد عن اثارة الضوضاء أو مخالفة النظام، تحت طائلة العقوبة[١] والمدرسة تعدّه للامتحان دون النظر لميوله وليس عليه إلاّ تعلم الربط في العلاقات بين المثيرات والاستجابات للنجاح. ولذلك غالباً ما يخرج التلميذ كارهاً للمدرسة ويتذكرها بألم[٢].

---

(١) هاني عبدالرحمن، فلسفة التربية، ص٦٤.

(٢) صالح عبدالعزيز، مرجع سابق، جـ٢، ص٤٤٦، ص٤٤٧.

### ٣- المنهج الدراسي:

تهتم التربية الواقعية بدراسة العلوم الطبيعية، كأساس لفهم القوانين التي يسير عليها العالم المحيط بنا، ولا دخل لها بمواد العلوم الإنسانية، حيث ترتبط بالحياة الحاضرة للإنسان، ومشاكله العملية. ولا يهتم الواقعيون بتاريخ العلوم الطبيعية لأن الاهتمام منصبٌ لديهم على النظريات والأساليب الحديثة بعينها والمستعملة حالياً.

### ٤- طرق التدريس:

تقوم طريقة المدرس عند الواقعيين على تقسيم الدرس الى ما يسمونه (بالمثيرات) وما يقابلها من (الاستجابات)، ويحدد المعلم الواقعي الاستجابة المناسبة لكل مثير. ثم يعرضها على التلاميذ ليقوموا بتحديد موقفهم بالربط بين العناصر المناسبة.

ويعتبر التعليم المبرمج عبر الكتب أو الآلات، أو الأفلام، والأشرطة، أو البطاقات، تعليماً واقعياً يدفع الطلاب ليتعاملوا مع تلك الوسائل لاتقان الاختيار الصحيح بين كل مثير وما يناسبه من الاستجابات... وذلك إما بالإجابة بنعم أو لا أو بطريقة الاختيار من متعدد. ويُمكّن التلميذ من معرفة صحة أو خطأ اجابته. ويمكن بهذه الطريقة توفير الوقت، والجهد على كل من الطالب والمعلم، في نقل وتلقي المعلومات. وبالتالي يمكن اعطاء وقت كاف للتركيز على الأهداف التربوية في توجيه شخصية الطفل، ودراسة حاجاته ودوافعه وميوله.

### ٥- الامتحانات المدرسية:

التربية الواقعية موضوعية المنحى، فهي تستخدم الاساليب العلمية في التدريس وقياس نتائجه. وبالتالي فهي ترفض الأسئلة الانشائية المبتدئة بـ (ناقش، اشرح..) وذلك لفقدان المعيارية المناسبة لتصحيحها، لتدخّل ذاتية المصحح فيها.

ولذلك، فإن المعلم الواقعي، يلجأ للأسئلة الموضوعية كالاختيار من متعدد واسئلة المتقابلات، واكمال العبارات، أو الإجابة بنعم أو لا....

---

(١) انظر في:

- جيمس، س.روس، مرجع سابق، ص١٤٧ - ص١٥٠.
- صالح هندي وزملاؤه، مرجع سابق، ص١٣٦-١٣٧.

وهنا تتحدد الاجابة بطريقة واحدة فقط، مما يضمن الموضوعية في التصحيح. خصوصاً وأن الإجابة واحدة لدى جميع الطلاب. بخلاف ما عليه الامتحان المثالي.

## نقد التربية الواقعية:

التربية الواقعية جاءت كرد فعل على التربية المثالية والتي صرفت أذهان الناس عن العالم الواقعي المحسوس، إلى الخيال والتصورات الروحية، فركزت على الطرق العلمية التجريبية، مما جعلها أحادية الجانب من التربية كما كانت التربية عند المثاليين، وهكذا ارتبطت المدرسة بالحياة العامة، ودعا الواقعيون لتكون مناهج التدريس وثيقة الصلة بحياة التلاميذ، بينما اهملت المواد الانسانية لأنها ـ في نظرهم ـ متعلقة إما بالماضي أو التخيلات بعيدة عن الحاجات، فكانت صفتها العامة الجمود، وعدم الاكتراث بالمشاعر الخاصة للأفراد. واهمال ميول التلاميذ، وبالتالي فهي تؤمن بثبات المناهج المدرسية، والأنظمة التي تسود العالم.

### جـ- الفلسفة البراجماتية للتربية:

أخذت الفلسفة البراجماتية بالبروز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عند بعض فلاسفة أمريكا أمثال (شارلز بيرس، ووليم جيمس، وجون ديوي).

والفلسفة البراجماتية تهتم بالقيمة النفعية للأفكار فقط، فهي لا تبحث عن طبيعة الكون والانسان والحياة إلاّ بما يعود منها من نفع وفائدة. ولا فرق بين نفع الأفكار وصحتها، فالنفع والصحة مترادفان عند البراجماتيين فكل فكرة صحيحة يجب أن تكون نافعة، فإذا انعدمت منها النفعية فلا فائدة لدينا من تعلمها.

والفلسفة البراجماتية، فلسفة عملية، وترى أن التجربة العملية سابقة في وجودها للفكرة النظرية. ولذلك، فإن التربية لا تنتج عن الفلسفة بصفتها النظرية، بل هي ناتجة عن عملية التربية، فالفلسفة صياغة للمشكلات التربوية أو قل هي

نظريـــة تربوية[1].

بينما يرى البراجماتيون بأن التربية هي الحياة المعاشة بحذافيرها. وما دامت الحياة مستمرة، فالتربية عملية مستمرة[2]. ولكن الاستمرارية في الحياة فيها تغير مستمر أيضاً، ولهذا فلا حاجة لأهداف تربوية ثابتة ومحددة بل يكفي أنها تقوم بإشباع حاجات المتعلمين ليتحقق النفع منها.

**وأما موقف البراجماتية من عناصر التربية فهو كما يلي:**

**١- الطفل:**

تعتبر البراجماتية الطفل محوراً للعملية التربوية، فهو التربية وهو غايتها. وهذه نقلة نوعية في النظرة من المعلم الى المتعلم[3]. ولذلك وحتى تنسجم التربية البراجماتية مع نظرتها، فإن الدراسة يجب أن تتفق مع ميول المتعلم واهتماماته. ولا يجوز أن تفرض عليه مقررات دراسية، لأن المهم هو ابراز ما عند الطفل من قدرات لتنميتها، وبالتالي فالطفل البراجماتي يحب مدرسته لأنه يشعر أنها تعده للتكيف مع الحياة ببساطة، وليس مع مجرد المعلومات الدراسية المقررة. فهو يندفع بذاتيته من خلال إشباع ميوله وحاجاته ويتقدم في دراسته بإيجاد ميول واتجاهات جديدة تكسبه خبرة في مواجهة الحياة وليس فقط بالاعتماد على المقررات الدراسية[4].

**٢- المعلم:**

المعلم البراجماتي يعتبر موجهاً ومرشداً للطفل من خلال تهيئة فرص التفاعل بين الطفل والبيئة الاجتماعية، والطبيعية، ولذلك كان دوره الأساسي في التعرف على

---

(١) انظر في:
- صالح هندي وزملاؤه، مرجع سابق، ص١٤٤.
- جيمس. س، روس، مرجع سابق، ص٨٩، ص٩٠.

(٢) وهيب سمعان وآخرون، دراسات في المناهج، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٩: ٣١.

(٣) صالح عبدالعزيز، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧.

(٤) انظر في:
جون ديوي، التربية في العصر الحديث - ترجمة عبدالمجيد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩م، ص٢٥.
- صالح عبدالعزيز، مرجع سابق، ص٢٨.

طبيعة الطفل وفهم دوافعه وحاجاته وميوله ليصبح قادراً على مساعدته[1]. ولذلك يعطي المعلم الطفل حرية واسعة في الاعراب عن نفسه، ويوجهه نحو تنمية الانضباط الذاتي لديه، ولا يلجأ الى النظام ليستمد منه العون على ضبط الطفل.

ويحاول استثمار دوافع التلميذ في عملية التعلم، مثل دافع البحث والتجريب ودافع الانشاء والدافع الاجتماعي ودافع التعبير عن الذات، فلا يفرض المعلم على تلاميذه موضوعات لا تتفق وميولهم ولا تثير دوافعهم.

### ٣- المنهج المدرسي:

يكون طبيعياً بعد ما سبق أن يتكون المنهج المدرسي من خبرات الطفل ومشكلاته، وحاجاته، لأن الهدف هو مساعدة الطفل في تفهمه لمشكلات الحياة الحاضرة ومن خلال ما يمتلكه من خبرات وما يمارسه من نشاط، ولذلك يجب أن تكون المواد الدراسية، متكاملة ومترابطة ومتصلة بحاجات الاطفال...

والمنهج البراجماتي لا يهدف الى حشو أذهان الاطفال بمعلومات كثيرة عن التراث الاجتماعي والثقافي كما في التربية المثالية، بل يحاول التوفيق بين حاجات الاطفال وبين الخبرات التي تساعدهم على فهم مشكلات الحياة. وارتباط المنهج البراجماتي بالحياة يقضي على عزلة المدرسة عن المجتمع. فتعلم التلاميذ مهناً كالطهي والحياكة والنجارة يكسبهم مهارة في الحصول على الطعام والكساء والأثاث كما يقول جون ديوي.

والمنهج البراجماتي يعتبر النشاطات جزءاً من المنهج المدرسي، لما لها من دور في تحقق التكامل في شخصية الطفل، فلا يجوز اغفال حاجات الطفل والتركيز على المواد الدراسية المتمثلة بالتراث الاجتماعي، كما لا يجوز الاهتمام الزائد بحاجات الطفل، دون العناية بخبرات الآخرين المتمثلة بالتراث الثقافي والاجتماعي[2].

---

(١) هاني عبدالرحمن، مرجع سابق، ص١١.

(٢) وهيب سمعان، مصدر سابق، ص٣٤.

### ٤- طرق التدريس:

تكتسب طرق التدريس في التربية البراجماتية أهمية أكثر من مسألة الاهداف التربوية، بعكس التربية المثالية، وهي ترى في تلقين المادة الدراسية للطفل أمراً غير مجدٍ، لأنه لا يراعي الأطفال ورغباتهم، ولذلك فإنها تبتدع طريقة تدريس جديدة، تنبعث من حاجات الاطفال وهي «المشروع». وهي طريقة تضع أمام الأطفال موقفاً تعليمياً متكاملاً ينبعث من حاجة ملحة، فيشعرون بضرورة إشباعها، ويكون هذا الموقف التعليمي بمثابة مشكلة ويكون هدف الطفل هو مواجهة المشكلة والسعي مع زملائه بنشاطات متنوعة، يحصلون من خلالها على معلومات من مصادر متعددة، تشكل في النهاية لديهم مهارة في التغلب على المشكلة عقلياً واجتماعياً، وبالتالي يكون نموهم الجسمي والانفعالي سليماً[1]. ذلك أن الطفل في طريقة المشروع هذه، يواجه مشكلة تثير تفكيره وتدفعه للعمل، فالمشكلة انبعثت من حاجاته، فيكون اندفاعه لحلها ذاتياً، فيبذل جهداً ونشاطاً مناسباً للوصول الى الحل.

ومن مزايا طريقة المشروع أن الطفل يتعلم كيف يعمل مع الجماعة وكيف يخطط للعمل، وكيف يتحمل المسؤولية، مما يجعل للدراسة معنى مباشراً ملتصقاً بحياته. فالمادة الدراسية وسيلة لا غاية[2]، أو هي مهارة تعين في حل مشكلة بطريقة اجتماعية عملية.

### ٥- الامتحانات المدرسية:

المعلم البراجماتي كما الواقعي ينظر الى الامتحانات المدرسية بصفتها طريقة لقياس مدى النجاح الذي يحققه الطفل في المادة الدراسية، فأهداف التربية تتحقق من خلال البرنامج التعليمي في فترات الدراسة. أما الامتحانات فهي تقويم للبرنامج التعليمي، وتحصيل الطالب.

---

(١) د. عبداللطيف فؤاد ابراهيم، المناهج، أسسها وتنظيمها وتقويم أثرها، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٢. ص٥٦٧، ص٥٦٩.

(٢) وهيب سمعان، مصدر سابق، ص٢٤٠.

إلاّ أن البراجماتي يرى أنه وإن أمكن معرفة النجاح الظاهر في قدرته على حل المشاكل من خلال الامتحان، في كونه كاشفاً عن مقدار التحصيل إلاّ أنه ليس الشيء الوحيد المهم في حالة تقدير التلميذ، بل يمكن ملاحظة مدى ما حققه الطفل من نمو شخصيته وسلوكه.

**نقد البراجماتية:**

راجت في أذهان المربين البراجماتيين في مختلف أوساط التربية أن الطفل يجب أن يكون محوراً للعملية التربوية. وأن تكون العناية بشخصيته هدفاً تربوياً. لكن البراجماتية مع ذلك ربطت بين خبرة الطفل وحاجاته وبين التراث الاجتماعي والثقافي بحيث لا يطغى التراث على خبرة الطفل. وقد عملت البراجماتية على ربط المنهج المدرسي بالحياة من وجهة نظر نفعية محضة، وجعلت كل ما يحقق فائدة مادية أو معنوية ملموس أثرها هي المنفعة الاجتماعية وليس الفردية فقط.